مركز دراسات المعرفة والحضارة
Center of Knowledge and Civilization Studies

قراءة في كتاب | 2025

قراءة في كتاب

حوارات من أجل الذكرى والذاكرة حول قضايا في الفكر العربي والإسلامي والغربي

مع: د. عبد الوهاب المسيري، د. محمد عابد الجابري، د. محمد أركون، د طه عبد الرحمان

للدكتور سعيد شبار

حنان الوافي
طالبة باحثة بسلك الدكتوراه
الحوار الديني والحضاري في الثقافة الإسلامية
جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال
المغرب

جميع الحقوق محفوظة © 2025
All rights reserved © 2025
لجنة الإعلام والتواصل

مقدمة:

بدأت معالم الفكر العربي المعاصر تتبلور له مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، عند أول صدمة له مع الغرب انطلاقا من حملة نابوليون على مصر ثم الحملات الاستعمارية على العالم العربي الإسلامي باحتلال فرنسا للجزائر أولا قبل سقوط باقي الدول، فكان الاصطدام بالمدنية الغربية والوقوف على مدى تطور الغرب ماديا وعلميا مقابل الأوضاع المتردية وحالة الضعف بالعالم العربي الإسلامي العامل الأساس لطرح سؤال النهضة: لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمون؟

وقد مر تأسيس الفكر العربي المعاصر بمراحل ثلاث: المرحلة الأولى منذ منتصف القرن الثامن عشر إلى سقوط الخلافة العثمانية سنة 1924 أو ما يعرف بعصر النهضة العربية، والمرحلة الثانية منذ 1924 إلى نكبة 1967، والمرحلة الثالثة من بداية السبعينيات القرن العشرين إلى اليوم. حيث تميزت كل مرحلة من هذه المراحل بظهور نخب من العلماء والمفكرين يسعون إلى دراسة واقع الأمة الإسلامية وتراثها، محاولين كشف مواطن الخلل، باحثين عن حلول من أجل تحقيق شروط النهوض الحضاري. وذلك من خلال الإجابة عن أسئلة من قبيل: ما تراثنا؟ وما الحداثة؟ وكيف نتعامل معهما؟ وماذا نأخذ من الثقافات الأخرى؟ وما الأصيل وما الوافد؟ وكيف نتعامل مع كل منهما؟ وكيف نكون نحن أنفسنا؟ ... فلم تكن هناك إجابة واحدة، بل تعددت الإجابات بتعدد المفكرين وتعدد انتماءاتهم الفكرية وتكويناتهم العلمية

ويعتبر عبد الوهاب المسيري ومحمد عابد الجابري ومحمد أركون وطه عبد الرحمان من أبرز أعلام الفكر العربي الإسلامي المعاصر، اهتموا بقضاياه وانهموا بمشاكله وانشغالاته، بحثوا ونظروا وأنتجوا مؤلفات غزيرة. كما يعتبر الفكر العربي الإسلامي وقضاياه في صلب اهتمامات أستاذنا الدكتور سعيد شبار، الذي ساهم في إثراء المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات، من بينها كتاب "حوارات من أجل الذكرى والذاكرة حول قضايا في الفكر العربي والإسلامي والغربي" موضوع هذه القراءة الذي يحمل في ثناياه زبدة أفكار هؤلاء الرواد الأربعة.

الدراسة الخارجية للكتاب:

1) التعريف بالكتاب:

يتكون الكتاب الذي بين أيدينا من مقدمة من 29 صفحة، ومن قسمين: يضم القسم الأول حوارات مرتبة على التوالي مع كل من الدكتور عبد الوهاب المسيري في 25 صفحة، ومع الدكتور محمد عابد الجابري في 28 صفحة، ومع الدكتور محمد أركون في 36 صفحة، ومع الدكتور طه عبد الرحمان في 68 صفحة، وكان الدكتور شبار قد أجراها متتابعة زمنيا كما وردت في الكتاب. أما القسم الثاني من الكتاب (ويضم 83 صفحة) فقد خصص لخمس حوارات جْريَت مع المؤلف نفسه في مجلات، ودوريات، وطنية ودولية.

صدر هذا الكتاب عن مركز دراسات المعرفة والحضارة، سلسلة دراسات وأبحاث فكرية، العدد 4، في طبعته الأولى، بالمغرب (فاس)، سنة 1438هـ/ 2017م. ويضم الكتاب بين دفتيه 275 صفحة.

تضم الواجهة الأمامية لهذا الكتاب أربع صور فتوغرافية من الحجم الصغير متساوية القياسات للمفكرين المحاوَرين مرتبة حسب ورود أسمائهم في العنوان. أما الواجهة الخلفية فتضم صورة من نفس الحجم للمؤلف، مع ملخص صغير للكتاب مقبس من مقدمته.

2) عنوان الكتاب:

الكتاب موضوع القراءة يحمل عنوان: حوارات من أجل الذكرى والذاكرة حول قضايا في الفكر العربي والإسلامي والغربي، مع: د. عبد الوهاب المسيري، د. محمد عابد الجابري، د. محمد أركون، د طه عبد الرحمان. وهو تجميعية لحوارات أجراها المؤلف مع كل مفكر من المفكرين الأربعة، إضافة إلى حوارات أجريت معه ذاته، ونشرت متفرقة في صحف ومجلات ودوريات وطنية ودولية لكنها كلها تصب في انشغالات وقضايا الفكر العربي الإسلامي المعاصر. وقد جمعها وأعاد نشرها في هذا الكتاب ووضع لها عناوين

مختلفة حسب مضمون كل حوار، فجعلها حوارات من أجل "الذكرى بأصحابها من جهة، ولذاكرة الباحثين والمهتمين من جهة أخرى"[1].

3) التعريف بالمؤلف:

الدكتور سعيد شبار أستاذ جامعي وباحث أكاديمي ومفكر مغربي، ولد سنة 1963م بجهة بني ملال خنيفرة، حيث شب وتلقى تعليمه المدرسي، ليلتحق بجامعة الحسن الثاني بالبيضاء بشعبة الدراسات الإسلامية، ثم بجامعة محمد الخامس بالرباط، وقد حصل على:

- دكتوراه الدولة، بجامعة محمد الخامس، سنة 2000م، حول موضوع: "الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر: دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية".
- دبلوم الدراسات العليا، تخصص العقيدة والفكر الإسلامي والحضارة من جامعة محمد الخامس بالرباط، سنة 1990م، حول موضوع "النص الديني في قراءات الفكر العربي المعاصر".
- شهادة الدراسات المعمقة في علوم القرآن والسنة من دار الحديث الحسنية، بالرباط سنة 1989م.
- شهادة الإجازة بشعبة الدراسات الإسلامية في موضوع "مناهج قراءة ودراسة التراث الإسلامي"، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء سنة 1987م.

تقلد الدكتور سعيد شبار عددا من الوظائف والمهام، من بينها: مهمة أستاذ محاضر في الفكر الإسلامي والعقيدة والأديان المقارنة، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة السلطان مولاي سليمان، ببني ملال، ورئيس وحدة التكوين في الدكتوراه: الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية، ومنسق ماستر الحوار

(1) سعيد شبار، حوارات من أجل الذكرى والذاكرة حول قضايا في الفكر العربي والإسلامي والغربي مع: د. عبد الوهاب المسيري، د. محمد عابد الجابري، د. محمد أركون، د طه عبد الرحمان، مركز دراسات المعرفة والحضارة، سلسلة دراسات وأبحاث فكرية، العدد 4، في طبعته الأولى، بالمغرب (فاس)، سنة 1438هـ/ 2017م، ص: 3.

الديني والحضاري وقضايا الاجتهاد والتجديد في الثقافة الإسلامية، بنفس الجامعة، ورئيس مركز دراسات المعرفة والحضارة. هذا إضافة إلى عمله كخبير محكِّم في الدراسات الفكرية ومقارنة الأديان للعديد من المجلات العلمية.

كما يشغل أستاذنا منصب كاتب عام للمجلس العلمي الأعلى بالمغرب منذ 2024، بعد أن كان رئيسا للمجلس العلمي المحلي بني ملال من سنة 2009 إلى 2023.

اهتم الدكتور شبار بقضايا الفكر العربي الإسلامي، له العديد من المشاركات العلمية في ندوات ومؤتمرات وطنية ودولية، كان قد بدأ نشر مقالاته الأولى منذ سنة 1985، وهو مازال طالبا في سلك الإجازة، كما أن له العديد من المؤلفات، أهمها:

- النص الإسلامي في قراءات الفكر العربي المعاصر، مطبعة القرويين، الطبعة الأولى، 1999م.
- المصطلح: خيار لغوي.. وسمة حضارية، كتاب الأمة، قطر، العدد 78، الطبعة الأولى، رجب 1421هـ، 2000م. أعيد نشره تحت عنوان: المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي، مركز دراسات المعرفة والحضارة، سلسلة دراسات وأبحاث فكرية، العدد3.
- الحداثة في التداول الثقافي العربي الإسلامي، نحو إعادة بناء المفهوم، منشورات الزمن، الرباط، 2002.
- النخبة والإيديولوجيا والحداثة، دار الهادي، بيروت، 2005. وأعيد نشره بعنوان: النخبة والإيديولوجيا والحداثة في الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات المعرفة والحضارة، سلسلة دراسات وأبحاث فكرية، العدد1.
- الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر: دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن (و-م-أ)، الطبعة الأولى، 2007. (أطروحة دكتوراه).

- الأسس المرجعية والمنهجية لتجديد الفكر الإسلامي، المنظمة الإسلامية للعلوم والفكر والثقافة إيسيسكو، 1432هـ، 2011م.
- الثقافة والعولمة وقضايا إصلاح الفكر والتجديد في الثقافة الإسلامية، مركز دراسات المعرفة والحضارة، دار الإنماء الثقافي، الطبعة الأولى، 2014م.
- حوارات من أجل الذكرى والذاكرة حول قضايا في الفكر العربي والإسلامي والغربي، مع د. عبد الوهاب المسيري، د. محمد عابد الجابري، د. محمد أركون، د. طه عبد الرحمن، مركز دراسات المعرفة والحضارة، 2017م. وهو الكتاب موضوع القراءة.

4) التعريف بالمفكرين المحاوَرين:

أ- عبد الوهاب المسيري:

المسيري هو مفكر مصري ولد بمدينة دمنهور عام 1938م، وتلقى بها تعليمه، ليلتحق بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بالإسكندرية سنة 1955م، ليعمل بها معيداً بعد تخرجه منها سنة 1959. سافر إلى الولايات المتحدة لإتمام دراسته في الأدب الإنجليزي المقارن عام 1963، حيث حصل على الماجستير ثم الدكتوراه، فعاد لمزاولة التدريس ببلده وبالعديد من الأقطار العربية والإسلامية، كما شغل العديد من المناصب والمهام منها: عضو مجلس الخبراء في مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية (1970 ـ 1975)، ومستشار ثقافي للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة في نيويورك (1975 ـ 1979)، وعضو مجلس الأمناء في جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية ببليسبرغ، بولاية فرجينيا في الولايات المتحدة الأميركية، والمستشار الأكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي منذ 1992.[1]

عالج المسيري من داخل النسق الإسلامي قضايا التجديد والاجتهاد الفكري والمعرفي، والعديد من القضايا الإشكالية التي تشغل الفكر العربي الإسلامي، وقد عالج هذه القضايا من خلال العديد من المؤلفات على رأسها:

(1) رغدة محمد المصري، أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية، **المشروع المعرفي لعبد الوهاب المسيري** (الصهيونية نموذجاً). ونقلا عن مقدمة موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية https://www.noor-book.com

- إشكالية التحيز...رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد.
- المادية وتفكيك الإنسان.
- العالم من منظور غربي.
- الفردوس الأرضي.
- دراسات معرفية في الحداثة الغربية.
- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة....
- نهاية التاريخ، مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني.
- الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ.
- الايديولوجية الصهيونية" في جزأين.
- موسوعة الضخمة حول" اليهود واليهودية والصهيونية"
- الجماعات الوظيفية اليهودية.... نموذج تفسيري جديد.
- سيرته الذاتية بعنوان "رحلتي من البذور إلى الجذور والثمر سيرة غير ذاتية غير موضوعية."

توفي الدكتور المسيري في الثالث من شهر يوليوز سنة 2008 عن عمر يناهز السبعين عاما بعد مسيرة عامرة بالعطاء، قضاها في الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية وعن القضية الفلسطينية.

أما عن علاقة الأستاذ شبار بالمسيري فقد بدأت في أواخر الثمانينيات من القرن العشرين عندما قدم إلى المغرب ليحاضر بكلية الآداب بالرباط، وكان الأستاذ شبار ساعتها طالبا مطلعا ومتتبعا لمقالات المسيري، وعندما اجتمعا لأول مرة على طاولة غداء، ومن أجل الاستئناس والتواصل بدأ يسرد له عناوين مقالاته وبعض مضامينها وخصوصا المفاهيم التي نحتها بنفسه، فتوطدت العلاقة بينهما بسرعة وبدآ يلتقيان كلما أتيحت لهما الفرصة.

ب- محمد عابد الجابري:

الجابري هو فيلسوف ومفكر مغربي، ولد بمدينة فيكيك بشرق المغرب، هناك حيث تلقى تعليمه الابتدائي، ثم حصل على البكالوريا المغربية المعربة سنة 1957 بمدينة الدار البيضاء، ثم على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة في عام 1967، ثم شهادة دكتوراه الدولة في الفلسفة عام 1970 من كلية الآداب بالرباط التابعة لجامعة محمد الخامس تحت إشراف عزيز الحبابي، وكانت أول دكتوراه دولة في المغرب في مادة الفلسفة.

عمل الجابري كمعلم بالمدرسة الابتدائية، اشتغل بعد ذلك أستاذا للفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط، كما مارس العمل الصحفي فكان يكتب في صحيفة "التحرير" ومجلة "أقلام" و"الأهداف" و"المحرر" وغيرها... وساهم في العمل السياسي والحزبي. وقد نال الجابري عدة جوائز تتويجا لمجهوداته ومساهمته الفكرية الغزيرة.[1]

اشتغل الجابري على قضايا النهضة والتغيير والتحديث والتنمية، وعالج موضوع الديمقراطية والعقلانية والحرية، والتعددية والاختلاف... معتمدا في أبحاثه وتحليلاته منهجية ثابتة واختيارات مبدئية راسخة، بعيد عن نقل واستعارة الإجابات الجاهزة. كما اشتغل على العديد من المفكرين والفلاسفة والفقهاء في الغرب الإسلامي منطلقا من اقتناعه بتميز العطاء العلمي والفلسفي في الغرب الإسلامي على نظيره في المشرق ليس تحيزا بل بناء على معطيات (تاريخية، سياسية، دينية...) تشهد على ذلك دون أن تنقص من عطاء وأسبقية المشرق شيئا، على رأسهم ابن خلدون في أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه حول موضوع " العصبية والدولة"، كما اشتغل على ابن باجة وأبو الوليد الباجي وابن حزم والشاطبي وابن عربي... إلى أن توقف عند ابن رشد الحفيد تعريفا به وبأعماله وفكره محققا لمعظمها، للجابري العديد من الكتب المنشورة، أشهرها:

- العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي 1970.

(1) قاسم إبراهيمي بور، المنهجية الفكريّة لمحمّد عابد الجابري، من كتاب: مجموعة من المؤلفين، محمد عابد الجابري، دراسة النظريات ونقدها، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط 1، 2021م، ص: 9 و10. https://www.iicss.iq/?id=3184

- أضواء على مشكل التعليم بالمغرب 1973.
- مدخل إلى فلسفة العلوم1976.
- نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي 1980.
- الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية 1982.
- تكوين العقل العربي1984.
- بنية العقل العربي 1986.
- السياسات التعليمية في المغرب العربي 1988.
- المغرب المعاصر: الخصوصية والهوية.. الحداثة والتنمية 1988.
- العقل السياسي العربي 1990.
- المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد 1995.
- مسألة الهوية: العروبة والإسلام ... والغرب 1995.
- الدين والدولة وتطبيق الشريعة .**1996**
- التنمية البشرية والخصوصية السوسيوثقافية: العالم العربي نموذجا 1997.
- الإشراف على نشر جديد لأعمال ابن رشد الأصيلة مع مداخل ومقدمات تحليلية وشروح 1997 – 1998: فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تهافت التهافت، كتاب الكليات في الطب، الضروري في السياسة: مختصر سياسة أفلاطون.
- ابن رشد: سيرة وفكر 1998.
- العقل الأخلاقي العربي :دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية 2001.

- مدخل إلى القرآن 2006.
- فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول 2008.[1]

توفي الجابري سنة 2010 في الثالث من شهر ماي بمدينة الدار البيضاء.

أما عن العلاقة بين المفكرَيْن الدكتور شبار والدكتور الجابري فترجع إلى نهاية الثمانينيات عندما كان المؤلف طالبا بكلية الآداب بالرباط، وكان يحضر بعض محاضرات الجابري رغم أنه لم يكن من طلبة الفلسفة، يتواصل معه من خلال طرح أسئلة ومناقشته في مواضيع، فحظي بتشجيعاته وتوجيهاته العلمية والمنهجية كباقي الطلبة الطموحين والشغوفين بالبحث العلمي.

ت- محمد أركون:

محمد أركون مفكر وباحث جزائري ولد عام 1928م بمنطقة القبائل، بدأ تعلم الفرنسية وهو في سن السابعة في مدرسة الآباء البيض التبشيرية، ولم يتقن اللغة العربية الفصحى إلا في الثانوية، وقد درسها لسنة واحدة، التحق بالجامعة بالعاصمة الجزائر لدراسة الفلسفة، ثم بالسوربون بباريس، حصل على شهادة الدكتوراه سنة 1969م، وعين أستاذا لتاريخ الفكر الإسلامي في جامعة السوربون عام 1980م. له العديد من الأعمال العلمية باللغات العربية والفرنسية والانجليزية، وتبقى اللغة الفرنسية هي لغة التأليف الأساسية بالنسبة له، وكان الفضل لتلميذه صالح هاشم في توصيل فكره إلى القارئ العربي بترجمته لجل أعماله، ومن أهم كتابات أركون نجد:

- تاريخية الفكر العربي الإسلامي.
- الفكر الإسلامي قراءة علمية.
- قراءات في القرآن.lectures du coran

(1) https://www.khotwacenter.com/

- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني (قراءة لغوية لسانية لسورة الفاتحة وآيات من الكهف التوبة والعلق...).
- قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام.
- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد.
- نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية.
- نزعة الأنسنة في الفكر العربي... جيل مسكويه والتوحيدي.
- الإسلام أوروبا الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة
- العلمنة والدين الإسلام، المسيحية، الغرب.
- تاريخية الفكر العربي الإسلامي.

وفي سنة 2010م توفي أركون عمر يناهز 82 عاما بالعاصمة الفرنسية ودفن بالمغرب.[1]

أما عن علاقة الدكتور شبار بأركون فكانت منذ أواسط الثمانينيات، حيث تعرف عليه أستاذنا من خلال اطلاعه على بعض مقالاته، ومن خلال اشتغاله عليه في دبلوم الدراسات العليا بمعية كل من الجابري وحسن حنفي لكون ثلاثتهم كانوا يشكلون "طليعة تيار تجديدي برؤى وتصورات ومناهج مختلفة في بحثها وفي نظرتها وتعاملها مع التراث ومع الآخر"، وكان لأستاذنا لقاءات مع أركون لا تتجاوز الثلاث أو أربع "لما كان ضيفا في برنامج تلفزي، وفي ندوة أو محاضرة، وفي إنجاز هذا الحوار الذي دام حوالي خمس ساعات سنة 1997"[2].

(1) هبة الله علي السيد أحمد، النبوة في الفكر الحداثي محمد أركون أنموذج: دراسة تحليلية نقدية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، جامعة الأزهر، مجلة قطاع أصول الدين، العدد الثامن عشر، ديسمبر 2022م. من ص: 2287 إلى 2290.
(2) سعيد شبار، حوارات من أجل الذكرى والذاكرة، المرجع نفسه، ص: 17.

ث- طه عبد الرحمان:

ولد طه عبد الرحمان بمدينة الجديدة سنة 1944م - أصوله من مدينة تارودانت- وبها تلقى تعليمه الابتدائي بالموازاة مع تعليم ديني من قبل والده، ليتابع دارسته الإعدادية والثانوية بمدينة الدار البيضاء، بعد حصوله على الباكالوريا التحق بجامعة محمد الخامس حيث حصل على الإجازة في الفلسفة، ليحصل على إجازة ثانية في نفس التخصص بالسوربون بفرنسا، ثم على الدكتوراه سنة 1972م في موضوع "اللغة والفلسفة: رسالة في البنيات اللغوية لمبحث الوجود"، ثم حصل على دكتوراه الدولة سنة 1985 في المنطق في موضوع " رسالة في الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه".[1]

عمل طه عبد الرحمان بجامعة محمد الخامس بالرباط أستاذا لمادة الفلسفة والمنطق وفقه اللغة والأصول منذ تعيينه سنة 1970 إلى أن تقاعد سنة 2005، وقد تميز بصرامته المنهجية، وبتفرده في طريقة تناول المواضيع وفي طريقة التحليل والنقد وفي بناء المفاهيم ونحت المصطلحات، وشارك في عضوية العديد من المراكز العلمية والمنظمات والجمعيات والهيئات الاستشارية داخل المغرب وخارجه، وله العشرات من المؤلفات فيما يلي أبرزها:

- اللغة والفلسفة: رسالة في البنيات اللغوية لمبحث الوجود (بالفرنسية)، 1979.
- رسالة في منطق الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه (بالفرنسية)، 1985.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، 1987.
- تجديد المنهج في تقويم التراث، ط1- 1994، وط2 -2001.
- فقه الفلسفة:1- الفلسفة والترجمة، 1996.

  2- القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، 1999.

- سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، 2000.

(1) أحمد الفراك، طه عبد الرحمان سيرة مختصرة، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان-المغرب، جامعة سعيدة متون، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. ص: 55.

- الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، 2002.
- الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري،2005.
- روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، 2006.
- سؤال العمل: بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، 2012.
- رُوح الدين: من ضيق العَلمانية إلى سعة الائتمانية، 2012.
- بُؤس الدَّهْرانية: في النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، 2014.
- سؤال المنهج: في أفق التأسيس لأُنموذج فكري جديد، 2015.
- شرود ما بعد الدهرانية: النقد الائتماني للخروج من الأخلاق، 2016.
- من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، 2016.
- دين الحياء: من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني. في ثلاثة أجزاء، 2017.
- سؤال العنف، بين الائتمانية والحوارية، 2017.
- المفاهيم الأخلاقية بين الائتمانية والعَـلْمانية، (في جزأين: المفاهيم الائتمانية، والمفاهيم العلمانية)، 2020.
- التأسيس الائتماني لعلم المقاصد، 2022.
- سؤال السيرة الفلسفية: بحث في حقيقة التفلسف الائتمانية، 2023.[1]

أما عن علاقة الأستاذ شبار بالأستاذ طه عبد الرحمان فبدأت في أواخر الثمانينات، في مرحلة الدراسة بالسلك الثالث بكلية الآداب بالرباط، كان أستاذا يدرسه مادة أصول الفقه، لكن الطالب النشيط كان يحضر له محاضرات بعيدة عن تخصصه في المنطق واللغة والفلسفة ويتتبع كتاباته وندواته، ليجد شبار نفسه

(1) أحمد الفراك، طه عبد الرحمان سيرة مختصرة، المرجع نفسه، ص: 57 و58.

منخرطا ومندمجا في المشروع الفكري لطه عبد الرحمان وبدأ يتصل به من وقت لآخر وجعل منه مرجعا وشاهدا قويا في كتاباته، خاصة وأن طه عبد الرحمان كان "حصن وملاذ الفكر والثقافة الإسلامية أمام الهجوم الكاسح للفكر الشيوعي المادي والعلماني الشمولي... إذ كان الأقدر والأكفأ على الرد والدحض بالسلاح نفسه، سلاح الفلسفة والعلم والصرامة المنهجية بدرجة فاقت أطروحات الخصوم أنفسهم. إنه غزالي عصره في نقد الفلاسفة دون الارتهان إلى مقولاتهم."[1]

الدراسة الداخلية للكتاب

1) محتوى الكتاب:

بدأ الأستاذ شبار كتابه بتقديم تعريف واف عن كل واحد من محاوَريه: توَجُّهاتهم الفكرية واهتماماتهم العلمية وأهم إنتاجاتهم مع بعض أطروحات كتبهم، كما أورد نوع علاقته بكل واحد منهم، محددا تاريخ إجراء كل حوار. وقد قدّم لكل واحد على حدة من هؤلاء المفكرين بنفس الترتيب الذي وردت به حواراتهم، مستغنيا بذلك عن أي تقديم أو تعريف خلال الحوار، حيث يباشر طرح الأسئلة على المحاوَر حول اهتماماته العلمية، ويناقش معه أفكاره، وقد أورد الحوارات في جزأين:

الجزء الأول من الكتاب، ويضم حوارات:

أ- مع الدكتور عبد الوهاب المسيري:

حيث أجري الأستاذ شبار هذا الحوار سنة 1995، ونشر ملخصا له في جريدة الراية سنة 1995 في أعدادها 151 و152 و153، وأعاد نشره في هذا الكتاب، ويتكون هذا الحوار إلى ثلاثة محاور أساسية: المحور الأول والذي يحمل عنوان "**حول تجربة المفكر الذاتية**" طرح أسئلة حول اهتمامات المفكر العلمية، وسر التحول من إطار فكري إلى نقيضه، وكان جواب المسيري مستفيضا عن تطور مشروعه العلمي وما رافقه من تحولات من الفكر الماركسي العلماني إلى الفكر الإسلامي، حيث توصل إلى أن المنظومة الإسلامية باعتبارها رؤية ومعرفة هي التي "تكفيه" في محاولة لتفسير الواقع.

(1) سعيد شبار، حوارات من أجل الذكرى والذاكرة، المرجع نفسه، ص: 23و24.

أما المحور الثاني "**العلمانية والفكر العلماني**" ركز على معنى العلمانية باعتبارها ظاهرة عالمية ذات أصول غربية، ويرى المسيري أنها " هي فصل كل القيم سواء كانت إنسانية أو أخلاقية أو دينية عن العالم. والعالم هنا يعني الإنسان والطبيعة وكل شيء... العلمانية هي نزع القداسة عن كل شيء" أي فصل الاقتصاد والدولة والدين والفلسفة والعلوم عن منظومة القيم، ليصبح كل شيء مرجعا في حد ذاته، ويصبح الإنسان مرجعا لذاته، مما أدى إلى ظهور الأزمات الاخلاقية. معتبرا أن الامبريالية هي أداة لعلمنة العالم، بحيث أنها تنزع القداسة عن العالم، وتحول العالم كله إلى سوق، تغيب فيه الخصوصيات القومية.

أما المحور الثالث من هذا الحوار فكان "**حول إشكالية التحيز والتمركز الغربي**"، حيث يرى المسيري أن هناك تحيز للرؤية الغربية للعالم، ففي كتابه "إشكالية التحيز" يوضح المسيري أنه إذا اختار الانسان الغربي وبكل حرية أن تكون المنفعة الاقتصادية أولوية له، فيحق للآخر أن تكون له اختيارات أخرى ورؤية مختلفة تتماشى مع هويته الذاتية ومع خصوصياته، مؤكدا أن مشكلة الحضارة الغربية الحديثة هو افتقادها للبعد الأخلاقي الروحي، وأن منظومتها القيمية لا تلائم المسلمين بسبب نقط القصور فيها، وأنه يمكننا "أن نؤسس حداثة جديدة من خلال اكتشاف ذاتنا مرة أخرى، ومن خلال توليد بعض الأبعاد الأخلاقية والدينية التي يمكنها أن تتعايش مع هذه الحداثة"[1]. معتبرا أن الصحوة الإسلامية ما هي إلا تعبير جديد عن حالة القلق التي عاشها الإنسان العربي منذ بدء الاستعمار، هذا الاستعمار الذي أدى إلى فصله عن تراثه، "والانسان لا يمكن أن يعيش بلا تراث" أو أن يتبنى تراثا ليس له، وأن يصبح هو ذلك الآخر الغربي، لأن "محاولة أن تصبح الآخر محكوم عليها بالفشل، لأنك إن حاولت أن تصبح الآخر ستكون باستمرار من الدرجة الثانية، ولا يمكن أن تكون من الدرجة الأولى إلا أن تكون أنت" [2]، وقد انتقد المسيري النموذج التفسيري الغربي العلماني لهذه الصحوة الإسلامية بردها إلى أسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية، مهملا باقي الأبعاد الأخرى، فهو في نظره نموذج متحيز للأحادية السببية، وهذا التحيز هو تعبير عن المادية الصارمة وإغفال لقضية المعنى التي بدأ الخطاب السوسيولوجي يتحدث عنها.

(1) سعيد شبار، المرجع نفسه، ص: 51.
(2) سعيد شبار، المرجع نفسه، ص: 50.

ب- مع الدكتور محمد عابد الجابري:

أنجز الدكتور شبار هذا الحوار مع الجابري منذ سنة 1996، ونشر ملخصا له في نفس السنة في جريدة الراية في أعدادها: 187- 188 – 189. وقد دار الحوار حول ثلاثة قضايا أساسية، أولها "**الوحي والعقل والتراث**" حيث تحدث الجابري عن اهتماماته العلمية والقضايا التي تشغله والمتمثلة في قضيتين أساسيتين، وهما: منتجات الفكر العربي (التراث)، وأداة إنتاج هذا الفكر (العقل). وذلك باعتماد نمط معين من الثقافة وهي "الثقافة العالمة"، وجوابا عن سر اعتماده هذا النمط من الثقافة قال الجابري: "أما اشتغالي بالثقافة العالمة وحدها فهذا شيء يرجع إلى الاختصاص، أنا أنتمي إلى قطاع معرفي معين هو قطاع الفلسفة وتاريخ الفكر: ميدانه الثقافة العالمة"[1]. أما بخصوص جوابه عن أهم الانتقادات التي توجه إليه:

- سكوته عن الاستشراق كان رغبة منه في التحرر من هيمنة الآخر محيلا إياه والقارئ إلى دراستين حول الموضوع: "الاستشراق في الفلسفة منهجا ورؤية" و"الاستشراق إقصاء للشرق وبناء للغرب"
- أما سكوته عن "النص الديني" يدخل في كونه يمارس النقد الابستيمولوجي في التراث العربي الإسلامي، والنص الإلهي قرآنا وسنة لا يدخلان في مفهوم التراث، فالنص المقدس محل إيمان، والنقد يمكن أن يطال "فهمنا لهذا النص وليس النص نفسه".
- أما بخصوص نعته للفلسفة المشرقية بكونها فلسفة هرمسية وباطنية وغنوصية ومنبع اللامعقول على خلاف الفلسفة في الغرب الإسلامي، وما أثاره من انتقادات تصفه بالتحيز والتعصب، بالنسبة له الكل له الحق في التعبير عن رأيه، دون الحاجة إلى الدخول في معارك فكرية فرجوية.

والقضية الثانية في هذا الحوار كانت بخصوص "**النظم المعرفية في الفكر العربي الإسلامي**"، حيث يعتبر الجابري أن النظام المعرفي هو منهج ومفاهيم ورؤية للعالم، ويميز بين ثلاثة نظم معرفية وهي: البيان والبرهان والعرفان، تربط بينها علاقة اختلاف لا تكامل كمناهج لكن ما تمدنا به من معارف يتكامل فيما بينه.

(1) سعيد شبار، المرجع نفسه، ص: 58.

فـالرؤية البيانية تقوم على تصور للإله والعالم والنبوة يختلف جذريا عن الرؤية العرفانية التي تقول بالحلول، أو بوحدة الوجود، أو باستمرار النبوة، أو بعصمة الأولياء، كما أن المنهج البياني الذي يقوم على القياس ويعتمد الاجتهاد والإجماع، يختلف عن المنهج العرفاني القائم على الكشف والاعتقاد في التعليم (أي التعلم من الإمام بدل الاجتهاد). أما العلاقة بين العرفان والبرهان فهي علاقة تغاير وتضاد، فالعرفان ظهر تاريخيا كبديل للبرهان المتمثل في العقلانية الأرسطية، وبذلك كان العرفان نفيا للبرهان من الناحية التاريخية والمنهجية وناحية الرؤية للعالم. بينما العلاقة بين البيان والبرهان فهي ليست على هذه الدرجة من الاختلاف والتضاد، البيانيون يعتمدون الجدل وهو قريب من البرهان الذي يعتمده الفلاسفة.

أما القضية الثالثة في هذا الحوار فكانت بعنوان "**التجديد في الثقافة العربية الإسلامية**"، يرى الجابري أن التجديد في الثقافة العربية الإسلامية، يجب أن تكون من داخل هذه الثقافة لا من خارجها، واضطرارنا لاعتماد مفاهيم من ثقافة أخرى يتطلب تبيئة هذه المفاهيم، بمعنى أن مجرد الترجمة الحرفية لا تكفي لنقل المفاهيم، بل يجب ان تكون ترجمة قائمة على التبيئة والتأصيل، والتبيئة هي عملية تقوم على" جعل المفهوم الأداة الذي ننقله من ثقافة أخرى يسكن منزلنا، ويتكيف مع نظامه ومعطياته حتى يستطيع التعبير فيه وعنه تعبيرا مطابقا... فالقانون الوحيد في عملية التبيئة هو امتلاك المفهوم وامتلاك البيئة بما في ذلك اللغة"[1]. أما المفاهيم الايديولوجية التي ليس لها دائما معنى واحدا، كمفهوم العلمانية والديمقراطية والاشتراكية...، فتبيئتها" تتطلب امتلاكها كما هي في حقلها الثقافي الأصلي بما في ذلك التوظيف الإيديولوجي الذي يخضع له، ثم بعد ذلك لابد من تصور دقيق وواضح للمعنى الذي نريد أن تؤديه داخل حقلنا الثقافي وللوظيفة الإيديولوجية التي نريدها لها... فمصدر الخطر ليس المفاهيم نفسها بل ترجمتها ترجمة حرفية تنقل معناها الأصلي إلى حقل لا أصل لها فيه"، وبذلك فهناك مفاهيم لا يمكن تبيئتها في الحقل الإسلامي كمفهوم العلمانية ومفهوم موت الإله... لكون تجربتنا الحضارية والسياسية والاجتماعية والثقافية لم تعرف تلك الظواهر التي تشير إليها هذه المصطلحات.

(1) سعيد شبار، المرجع نفسه، ص: 73.

أما بخصوص علاقة الفكر القومي العربي والخطاب الإسلامي، فيرى الجابري أن الخطر القادم يتهدد الكيان بجميع مقوماته الوطنية والقومية والدينية، لأن "الإسلام والعروبة والديمقراطية أركان ثلاثة لا يمكن أن يقوم لسكان هذه المنطقة العربية أي شأن في المستقبل بدونها مجتمعة... كما يرى بأن الصحوة الإسلامية يجب أن ترقى " بنفسها من مجرد صحوة إلى مستوى التجديد، مستوى الاجتهاد الذي يرتفع بنفسه، منهجا ورؤية، إلى المرتبة التي تمكنه من الاستجابة الفاعلة لقضايا العصر".[1]

ت- مع الدكتور محمد أركون:

هو عنوان الحوار الثالث الذي أجراه الدكتور شبار مع المفكر محمد أركون سنة 1997م، ونشر ملخصا عنه بجريدة العلم في العدد الصادر بـالرابع والحادي عشر من أبريل من نفس السنة. وقد استهله بطرح أسئلة "**في التراث والفكر الإسلامي ومناهج التحليل**"، حيث تحدث أركون عن جانب من اهتماماته العلمية باعتباره مؤرخا مما يفرض عليه في دراسته للمجتمع الإسلامي أن "يفتح الملفات جميعها، ولا يقف بجانب فرقة ضد الفرق كلها"[2]، فالمنهج التاريخي يقتضي وصف ما حدث دون الحكم لصالح فرقة على الأخرى، بل يقتضي عدم الانطلاق من مقدمة عقائدية ترى أن هناك دين حق يفوق الأديان الأخرى، ويقول "ولا يعني هذا أنني إذا كنت مؤرخا وأؤرخ لمجتمعات ولأديان بهذا الموقف الذي شرحته (المنطلق العقائدي)، لا يعني هذا أني لا أتبنى فكرة الدين الحق، ولكن من الواجب علي إذا قدمت نفسي كمؤرخ أن أتقيد بهذه القاعدة الذهبية التي يجمع عليها جميع المؤرخين."[3]، كما أن المؤرخ لا يحكم أبدا، أي لا يمكن أن يقول هذا الدين أفضل من هذا، أو هذه الفرقة أفضل من تلك.

في استفساره عن " **قضايا الاستشراق ومناهج البحث**"، رد أركون بأن الاستشراق يشترط إتقان اللغات الشرقية (العربية، والفارسية، والتركية...) لتكون مستشرقا، كما يرى أن المنهج الفيلولوجي والتاريخاني الذي يوظفه المستشرقون في دراسة الإسلام وتراثه، لم يعد كافيا، فالتحقيق الفيلولوجي للنصوص القديمة يعتبر خطوة أولى ضرورية، لكن هناك العديد من الخطوات الأخرى التي يجب أن نتقيد بها لدراسة تاريخ

(1) سعيد شبار، المرجع نفسه، ص: 81.
(2) سعيد شبار، المرجع نفسه، ص: 93.
(3) سعيد شبار، المرجع نفسه، ص: 90.

الإسلام، باستخدام مناهج العلوم الاجتماعية كعلم الاجتماع التاريخي، وعلم النفس التاريخي والأنتروبولوجيا. أما بخصوص رأي أركون حول "مشروع إسلامية المعرفة" الذي يتبناه المعهد العالمي للفكر الإسلامي فهو لا يقبل المناهج ولا يقبل ما يقدمونه كعمل علمي.

والمحور الثالث من هذا الحوار فكان "**في العلمانية والفكر العلماني (نظرة جديدة)**"، حيث يرى أركون أن العلمانية أو اللائكية لا أصل لها في اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وهي تدل على جدلية فكرية أساسية بين وضعين نفسانيين للعقل البشري، الوضع الذي يكون فيه العقل البشري خاضعا مسلما للمعطى الديني. ووضع ثان وهو الوضع الذي لم يدركه العقل البشري ولم يفكر فيه في أي ثقافة معروفة في التاريخ البشري، أي العقل مستقل عن المعطى المنزل، يقول أركون بهذا الصدد: "التقليد ليس فقط لي الحق أن أنظر فيه نظرة نقدية، بل لي كعقل المسؤولية الفكرية أن أعيد النظر في كل تقليد سبق، ويريد أن يفرض عليّ مقدماته وعقائده ونظمه وكذا وكذا... بما فيه المعطى المنزل"[1] ، واللائكية لا ترفض الدين أبدا، بل هي الإحاطة بكل موجود، بالنظر في كل موجود بعقل مستقل حر محكوم بمبادئ وقواعد.

وقد قسم أركون الفكر الإسلامي إلى ثلاث دوائر متمايزة: "المفكر فيه" وهي الدائرة الشائعة المعروفة، "اللامفكر فيه" وهي الدائرة التي ينبغي فتحها وإثارة قضاياها من جديد خصوصا المسكوت عنه، و"المستحيل التفكير فيه" فتكاد تكون محرمة "بسبب حدود العقل في فترة من فترات التاريخ"[2].

أما القضية الرابعة والأخيرة من هذه اللقاء التواصلي فتمثلت في رؤية أركون "**في مفاهيم الديمقراطية الغربية والنظام الدولي الجديد**"، فَعَن مفهوم الحرية والمساواة وحقوق الإنسان والديموقراطية وغيرها من المفاهيم، يقول أركون بأنه على الرغم من أن هناك أناس وتيارات يستغلونها في أوروبا استغلالا إيديولوجيا واستغلالا سلطويا، فإن مصداقية هذه المفاهيم في الفكر الأوروبي ترجع في نظره إلى كون هذا الفكر "يتسم **بنقد** كل المفاهيم، كل النظريات، المواقف الفكرية التي يأتي بها، لا يفرض مفهوما واحدا ويطبقه تطبيقا نهائيا شاملا ويتبناه لأبد الأبد. هذا محال، معنى هذا أن المفهوم العقلي في الفكر الأوروبي لا يزال يتنقل من

(1) سعيد شبار، المرجع نفسه، ص: 104.
(2) سعيد شبار، المرجع نفسه، ص: 111.

مرحلة إلى مرحلة، ولا يزال العقل يتهم العقل وما دمت تتهم العقل في جميع ما يقوله العقل، ستبقى حيا ستبقى حرا، هذا هو المفتاح هذا هو الأساس." [1]

ث- مع الدكتور طه عبد الرحمان:

هو عنوان الحوار الرابع والأخير ضمن الجزء الأول من الكتاب، فهو حوار لم يجره الدكتور شبار مع أستاذه الدكتور طه عبد الرحمان بشكل مباشر، بل استأذنه في تركيبه بطرح أسئلة والإجابة عنها من خلال كتبه ومقالاته، وقد قسمه إلى ثلاثة محاور،

أول هذه المحاور وسمه بعنوان "**التواصل الحضاري بين الأمم**" في هذا المحور تم التطرق إلى مجموعة من القضايا، كان أولها قضية "**الخصوصية الإسلامية والعالمية في الجواب الإسلامي**"، حيث يرى طه عبد الرحمان أنه لا تضاد بين الخصوصية والكونية، بل يمكن أن تجمع بينهما علاقة تداخل وتكامل، فالخصوصية عنصر في الكونية بمعنى أن الكونية تأليف صريح من الخصوصيات المختلفة، كما أنه لا وجود لكونية مجردة من كل لباس خصوصي. ويرى أن الخصوصية الإسلامية مبنية على أساسين: الإيمان والأخلاق. فالخصوصية الإيمانية للأمة المسلمة تنبني على كونية النظر الملكوتي، وبذلك فإن الكونية عنصر مقوم للشخصية الإسلامية. بينما الخصوصية الأخلاقية للأمة الإسلامية تقوم في النهوض بعمل تعارفي كوني. وردا على شبهة "عدم صلاح النقد الأخلاقي لتقويم الكونية" بين طه عبد الرحمان ما يلي:

- أن كل فعل إنساني يكون إما خيرا أو شرا، وبذلك فالفعل الإنساني له صبغة أخلاقية.
- القيم الخلقية ليست قيما كمالية أي ليست من الكماليات، بل إنه لا قيام لمجتمع بغير أخلاق.
- وأن القيم نوعان: قيم عامة وهي القيم المستمدة من الفطرة الإنسانية، وقيم خاصة وهي القيم التي تختلف باختلاف الشعوب وتتغير بتغير الأزمنة.

(1) المرجع نفسه، ص: 115.

كما يرى طه عبد الرحمان أن هناك اختلافا فكريا بين الأمم، يتجلى في ثلاثة مظاهر، وهي: الاختلاف في المفاهيم، والاختلاف في الأحكام (فالأحكام تختلف حتى عند أبناء الأمة الواحدة)، والاختلاف في القيم. وهذا الاختلاف الفكري وما يتضمنه من اختلاف قيمي يفضي إلى حدوث تدافع قيمي بين الأمم على المستوى الثقافي، حيث نجد أمما تنحو منحى الهيمنة وإقصاء الآخر.

ولتجاوز هذا الاختلاف الفكري وتفادي أوجه الصراع، وتأطيره في إطار المشترك الإنساني والتعايش السلمي، حدد طه عبد الرحمان المبادئ والقيم التالية:

- مبدأ التسامح الفكري: كل أمة تحترم أفكار الأخرى.
- مبدأ الاعتراف الفكري: الاعتراف المتبادل بقيمة الخصوصية الفكرية للطرف الآخر.
- مبدأ التصويب الفكري: حمل أفكار الأمة الأخرى على وجه الصواب.

كما يرى أن في إطار الواقع الكوني تم حصر القيم في نطاق الثقافة، فأصبحت القيم جزءا من الرصيد الثقافي، وأصبحت الثقافة الكونية منفصلة عن عالم الآيات ومرتبطة بعالم الظواهر، على خلاف الثقافة الإسلامية التي لم تنفصل عن عالم الآيات. وقد رصد طه عبد الرحمان أربع مفاسد ثقافية يعمل الواقع الكوني على تثبيتها في حركة التدافع القيمي، وهي:

- الاستتباع الثقافي: بإخضاع الشعوب المسلمة لسلطان الإنسان الغربي.
- التخريب الثقافي: بنسف قيم الثقافة الإسلامية بكل الوسائل المتاحة.
- التنميط الثقافي: بحيث يسعى الإنسان الكوني - في طوره الأوروبي سابقا والأمريكي حاليا- إلى فرض رؤيته الخاصة ومعاييره الثقافية على باقي الأمم.
- التلبيس الأخلاقي: حيث قام الواقع الكوني الحداثي بتخريج إنسان مادي تتدهور معه الأخلاق بشكل لا يليق بمقام التمدن الذي يدعيه.

ليخلص طه عبد الرحمان إلى أن رصيد القيم لدى المسلمين يشهد على تقدمهم لا على تخلفهم، وبذلك فالأمة المسلمة قد تكافئ بإرثها الثقافي العريق الأمة الغربية بثقافتها الحديثة، لأن التكافؤ الثقافي لا يشترط تحقق الكفاءة الاقتصادية، بل قد يقوم على تحقق الكفاءة الثقافية.

ثاني محاور هذا الحوار دار النقاش فيه حول "**الاجتهاد والتجديد في المجال العربي الإسلامي**" حيث يعلي طه عبد الرحمان من شأن الاجتهاد، وينبذ التقليد ويميز بين نوعين من المقلدة، كلاهما لا إبداع عندهما:

- المقلدة المتقدمين وهم الذين يقلدون المتقدمين من المسلمين، ويقومون بإسقاط المفاهيم الإسلامية التقليدية على المفاهيم الغربية الحديثة، مثلا إسقاط مفهوم الشورى على مفهوم الديمقراطية...
- المقلدة المتأخرين وهم الذين يقلدون المتأخرين من غير المسلمين، ويقومون بإسقاط المفاهيم الغربية المنقولة على المفاهيم الإسلامية المأصولة، مثلا إسقاط مفهوم العلمانية على مفهوم "العلم بالدنيا" أو مفهوم "الحرب الدينية" على مفهوم "الفتح"...

مما جعل الممارسة المفهومية لطه عبد الرحمان بعيدة عن تقليد المتقدمين والمتأخرين، متميزة بالإبداع.

كما يرى طه عبد الرحمان أن المشتغلين المعاصرين على تقويم التراث اقتصروا على نقد مضامين هذا التراث دون النظر البتة في الوسائل اللغوية والمنطقية التي ولدت هذه المضامين وشكلت صورها، وبذلك يكون تقويما تجزيئيا. كما أنهم اعتمدوا على صنفين من الآليات المنهجية في دراسة وتقويم هذا التراث: آليات عقلانية وأخرى إيديولوجية فكرانية. وقد اقترح طه منهجا بديلا لتقويم التراث يتأسس على النظرة التكاملية معتمدا على التداخل المعرفي والتقريب التداولي (التقريب هو وصل المعرفة المنقولة بباقي المعارف

الأصلية أي جعل المنقول مأصولا، مجال التداول في التجربة التراثية هو محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث[1].

أما المحور الثالث والأخير من هذا الحوار، فخصص لـ "**الحداثة والأخلاق: نقد وإعادة بناء**" ففي هذا الجزء من الحوار تم التطرق إلى أربع قضايا أساسية، عنون الأولى بـ "**ضرورة الاعتراف بالحداثة الإسلامية ونموذجِها الأخلاقي**"، حيث ناقشا أطروحة كتاب سؤال الأخلاق، الذي نقد فيه طه عبد الرحمان الحداثة الغربية ذات التوجه المادي، حاول التأسيس لحداثة بديلة ذات توجه معنوي مبنية على أصول إسلامية، ويميز في الحداثة بين جانبين وهما: روح الحداثة وواقع الحداثة. وجعل لروح الحداثة مبادئ ثلاثة، وهي:

- مبدأ الرشد: يرى طه عبد الرحمان أن الأصل في الحداثة هو الانتقال من حال القصور إلى حال الرشد، هذا الأخير يرتكز على ركنين أساسين، وهما ركن الاستقلال أي أن يمارس الإنسان الراشد حقه في التفكير ويستغني عن كل وصاية، وركن الإبداع أي أن يسعى الإنسان الراشد إلى أن يبدع أفكاره وأقواله وأفعاله.
- مبدأ النقد: الأصل في الحداثة هو الانتقال من حال الاعتقاد إلى حال الانتقاد أي عدم التسليم إلا بعد الدليل، ويقوم مبدأ النقد هذا على ركنين، وهما: ركن العقلنة أو التعقيل بمعنى إخضاع الظواهر لمبادئ العقلانية، وركن التفصيل أو التفريق حيث تتميز الحداثة بالتفصيل كالتفصيل في ميدان المعرفة بين دوائر العلم والقانون والأخلاق والفنون.
- مبدأ الشمول: الأصل في الحداثة هو الإخراج من حال الخصوص إلى حال الشمول، وينبني هذا المبدأ أيضا على ركنين اثنين، وهما: ركن التوسع بحيث لا تنحصر أفعال الحداثة في مجال أو مجالات بعينها بل تتسع إلى كل مجالات الحياة ومستويات السلوك، وركن التعميم حيث لا تبقى الحداثة حبيسة المجتمع الذي نشأت فيه.

وقد ترتب على تقسيم الحداثة إلى روح الحداثة وواقع الحداثة، ما يلي:

(1) المرجع نفسه، ص: 158.

- تعدد تطبيقات روح الحداثة: فروح الحداثة قادرة على التجلي في أكثر من مظهر واحد، فهي القاعدة العامة التي يمكن تطبيقها على حالات مختلفة.
- التفاوت بين واقع الحداثة وروحها: فواقع الحداثة ليس إلا واحدا من التجليات والتطبيقات الممكنة لروحها.
- خصوصية واقع الحداثة الغربية: الحداثة الغربية لا تعدو أن تكون تطبيقا من الإمكانات التطبيقية المتعددة.
- أصالة روح الحداثة: روح الحداثة ليست من صنع المجتمع الغربي الخاص، بل هي من صنع المجتمع الإنساني الطويل.
- الاستواء في الانتساب إلى روح الحداثة: روح الحداثة ليست ملكا لأمة بعينها، بل هي ملك لكل أمة متحضرة، نهضت بالفعل العمراني المادي وبالفعل التاريخي المعنوي.

أما القضية الثانية في هذا المحور فتتمثل في "**النقد الأخلاقي للحداثة الغربية**"، فقد أكد طه عبد الرحمان على أن الحداثة الغربية المعاصرة ترتكز على مبدأ العقلانية، مما يجعل أي منظومة حضارية قائمة على الأخلاق مستبعدة من سياق الحداثة. لكنه يؤكد أيضا على أن العقلانية ليست واحدة لا ثاني لها، كما يراها الحداثيون، بل هناك العقلانية المجردة من الأخلاق، وهي التي يشترك فيها الإنسان مع البهيمة، والعقلانية المسددة بالأخلاق وهي التي يختص بها الإنسان عن غيره، فالأخلاق هي "ما به يكون الإنسان إنسانا".[1]

وقد بنى طه عبد الرحمان مساهمته النقدية للحداثة الغربية على الجمع بين الأخلاق والدين لكونهما (أي الأخلاق والدين) شيء واحد، فلا دين بغير أخلاق ولا أخلاق بغير دين.

كما يرى أن الإشكال الأخلاقي في النمط المعرفي الحديث يقوم على أصلين، الأول هو اعتبار أن "لا أخلاق في العلم" والثاني هو اعتبار أن "لا غيب في العلم". فقد تم تغييب الأخلاق والدين، مما أدى إلى تحقيق

(1) سعيد شبار، المرجع نفسه، ص: 169.

مكاسب مادية غير مسبوقة، في ظل غياب تام لتلبية الحاجات الروحية، فالحداثة الغربية لا تحتاج شيئا أكثر من احتياجها إلى ملء الفراغ الروحي فيها، والذي يعبر عنه تارة بـ "فقد المعنى"، وتارة بـ " فقد المرجعية"، وتارة بـ "فقد المقصدية"، وتارة بـ "فقد التوجه". ولا نزاع في أن للمسلمين خبرة طويلة بعالم المعاني الروحية، مما قد يجعلهم يساهمون حقا في بناء حداثة عالمية.

وفي القضية الثالثة من هذا المحور والتي تحمل عنوان "**النموذج الأخلاقي في بناء الحداثة**"، يؤكد طه عبد الرحمان على أن روح الحداثة تتأسس على الحداثة المادية، وعلى الحداثة الروحية. وأن النظرية الأخلاقية تقوم على مسلمتين:

- مسلمة الصفة الأخلاقية الإنسان، مقتضاها أنه لا إنسان بغير أخلاق.
- مسلمة الصفة الدينية للأخلاق، مقتضاها أنه لا أخلاق بغير دين. ص: 176.

ليتوصل إلى أنه لا يمكن أن تقوم الأخلاق على ميثاق بين البشر وحدهم، لأن مثل هذا الميثاق لا ضمان فيه، لأن العقل البشري متقلب، وغير متيقن من فائدة ما يختاره من مقاصد. واليقين والضمان الصحيح لا يكون إلا مع الثبات الدائم، وهذا الثبات هو ما يميز الميثاق الذي يكون فيه الشارع الإلهي طرفا متفضلا.

أما القضية الرابعة والأخيرة من هذا المحور (وفي الحوار ككل)، فتحمل عنوان "من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية"، وقد ركز فيها طه عبد الرحمان على خطورة فصل الأخلاق عن الدين، فقال:" من أبرز الآليات التي توسلت بها الحداثة في إقامة مشروعها الدنيوي "آلية فصل المتصل"، ولما كان الدين يتصل بمختلف مجالات الحياة... فصلت الحداثة العلم عن الدين وفصلت عنه الفن والقانون، كما فصلت السياسة والأخلاق، وقد نسمي عملها في انتزاع قطاعات الحياة من الدين باسم عام هو "الدُّنيانية". فتكون العَلمانية (بفتح العين) مثلا هي الصورة الدُّنيانية التي اختصت بفصل السياسة عن الدين، والعِلمانية (بكسر العين) هي التي اختصت بفصل العلم عن الدين...وهكذا، والملاحظ أن هذه الفصول الدنيانية على

الدين ليست ذات لون واحد ولا وزن واحد ... أشد هذه الفصول خطرا وأبلغها أثرا هو "فصل الأخلاق عن الدين"[1]

وأسس الدكتور طه عبد الرحمان لفلسفة ائتمانية كبديل للفلسفة الدهرانية التي يرى أن منشأها "هو إنكار آمرية الإله إثباتا لآمرية الانسان... وإنكار شاهدية الإله إثباتا لشاهدية الانسان". مؤكدا على أنه إذا كانت الفلسفة الدهرانية تتوسل بالعقل المجرد وحده، فإن الفلسفة الائتمانية تنبني على العقل المؤيد متقية مفاسد العقل المجرد وعوائق العقل المسدد.. ومن مبادئ العقل الأولى التي تتحدد بها الفلسفة الائتمانية:

- مبدأ الشهادة التي تجعل الإنسان يستعيد فطرته محصلا حقيقة هويته ومعنى وجوده.
- مبدأ الأمانة التي تجعل الإنسان يتجرد من روح التملك متحملا كافة مسؤولياته التي يوجبها عقله.
- مبدأ التزكية التي يجعل الإنساني يجاهد نفسه للتحقق بالقيم الأخلاقية والمعاني الروحية المنزلة.

معتبرا أن الفلسفة الائتمانية تستمد عقلانية التأييد من النصوص المؤسسة للتراث الإسلامي، وأن واجب الإنسان في العالم الائتماني أن يطلب التقدم المعنوي كما يطلب التقدم المادي.

الجزء الثاني من الكتاب:

بالإضافة إلى هذه الحوارات الأربع مع رواد الفكر العربي الإسلامي المعاصر تضمن الكتاب جزءا ثان من الحوارات، وهي خمس حوارات كان الدكتور سعيد شبار فيها ضيفا محاوَرا في صحف ومجلات ودوريات وطنية ودولية، جمعها تحت عنوان "حوارات مع الدكتور سعيد شبار"، كان الهدف منها تتميم الفائدة والتعبير عن وجهات نظر مكملة.

(1) سعيد شبار، المرجع نفسه، ص: 183.

الحوار الأول أجرته مجلة اهتمامات تربوية (أكاديمية المملكة المغربية للتربية والتكوين) جهة تادلا أزيلال، حاوره عبد الله الاعشير ومحمد راجي سنة 2012، يكشف جوانب كثيرة من حياة أستاذنا سعيد شبار، مساره الأكاديمي، اهتماماته العلمية والبحثية، المهام والوظائف التي تقلدها سواء المرتبطة بمهنة التدريس والتأطير والبحث بالجامعة أو المرتبطة برئاسة المجلس العلمي المحلي.

الحوار الثاني كان مع مجلة قضايا إسلامية معاصرة سنة 2005، حاور الدكتور شبار الدكتور عبد الجبار الرفاعي حول مفهوم الفكر الإسلامي المعاصر باعتباره الإنجاز الفكري المستند إلى المرجعية الإسلامية، والمتحقق بشرط المعاصرة، كما ناقشا أهم الاتجاهات الفكرية (الشيوعي اليساري، العلماني الليبرالي، القومي العربي، الإسلامي الحركي) التي عرفها العالم العربي خلال القرن العشرين، وكذا أهم القضايا التي تشغل الباحثين، ثم تطرق الدكتور شبار إلى مسألة الثنائيات كالأصالة والمعاصرة، الإسلام والغرب... التي يرى شبار أن الأصل فيها التكامل لا التقابل والتعارض، كما تحدث عن مشكلة التعاطي مع التراث، والاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي. وقد أجمل هذه الأسئلة في عنوان واحد وهو "إطار منهجي للفكر الإسلامي المعاصر".

الحوار الثالث أصدرته صحيفة التجديد المغربية ممثلة بـ "عبدلاوي لخلافة" سنة2004، تحت عنوان: "لابد للأجيال المتعاقبة أن تحقق كسبها الذاتي من الوحي، لا أن تبقى عالة على كسب غيرها". خلال هذا الحوار أبرز الدكتور شبار أنه لابد من إعادة البناء الفكري والمنهجي للإنسان المسلم، على اعتبار أن الإصلاح الفكري والمنهجي هو المدخل أساس للتغيير وللتصدي لمخاطر التغريب الذي يفرضه واقع العولمة اليوم. وأن عملية إعادة البناء هذه تتم من خلال الاشتغال على مستوى جبهتين اثنتين: جبهة الذات من أجل إصلاح الأعطاب التاريخية التي جمدت الفكر وعطلت فاعليته، جبهة الآخر من خلال النظر في نتاجه الفكري نظرا واعيا مستوعبا ومتفاعلا. وذلك بالاعتماد على مناهج "تتكامل فيه مصادر المعرفة (نصا وعقلا وواقعا)، ويتكامل فيه عالم الغيب بعالم الشهادة، وأن تقرأ فيه آيات الآفاق والأنفس كما تقرأ آيات النص"[1].

(1) سعيد شبار، المرجع نفسه، ص: 245.

الحوار الرابع مع جريدة "الأحداث المغربية" يحمل عنوان "الدين والدولة: حوار ملتقى الفكر في موضوع: الدين والدولة في الإسلام"، أجري بتاريخ 18-4-2008. ناقش من خلاله الأستاذ شبار العديد من المقولات والمفاهيم، من بينها مقولة "الإسلام دين ودولة"، ومقولة "خلافة الله على أرضه"، ومقولة "الإسلام هو الحل"، ثم تطرق إلى مفهومي الدولة الدينية والدولة المدنية، حيث يرى شبار أن هناك تكاملا لا تقابلا بين الدين والدولة، كما ناقش أطروحة فصل الدين عن الدولة.

الحوار الخامس والأخير في هذا الكتاب كان مع "جريدة العرب القطرية" بتاريخ 13-6-2008، قام به يوسف محمد بناصر، الذي ناقش من خلاله الدكتور شبار حول الفكر الإسلامي وقضايا التجديد، الأديان والحوار الحضاري، في الحداثة وما بعدها وغيرها من المواضيع.

الخاتمة:

يعتبر الفكر العربي الإسلامي المعاصر وقضاياه في صلب اهتمامات أستاذنا الدكتور سعيد شبار، الذي ساهم في إثراء المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات وكان كتاب "حوارات من أجل الذكرى والذاكرة حول قضايا في الفكر العربي والإسلامي والغربي" من بينها. حيث يشكل هذا الكتاب رحلة فكرية تغوص بنا في أعماق الفكر الإسلامي المعاصر، من خلال حوارات كان المؤلف قد أجراها مع رواد هذا الفكر، ونشرت مسبقا في صحف ومجلات وطنية ودولية، ليجمعها في هذا الكتاب من أجل الذكرى بأصحابها من جهة، ولذاكرة الباحثين والمهتمين من جهة أخرى.

فقد أورد الكاتب هذه المحاورات وفق التسلسل الزمني لإجرائها، بدء بمقابلة عبد الوهاب المسيري الذي حاوره حول اهتماماته العلمية، وأهم القضايا التي شغلت تفكيره: كالعلمانية والفكر العلماني، وإشكالية التحيز والتمركز الغربي. متبوعة بمحاورة محمد عابد الجابري حول قضيتين مركزيتين وهما منتجات الفكر العربي (أي التراث) وأداة الإنتاج (أي العقل). ليَلِيه الحوار الذي أجراه مع محمد أركون باعتباره مفكرا ومؤرخا تناول التراث والفكر الإسلامي كموضوع لدراساته وأبحاثه بالاعتماد على العديد من المناهج الغربية المختلفة، وليختم الأستاذ شبار بحوار صاغه من مؤلفات طه عبد الرحمان، يعالج من

خلاله ثلاثة محاور أساسية، يرتبط المحور الأول بالتواصل الحضاري بين الأمم، بينما يتمحور الثاني حول قضايا الاجتهاد والتجديد، أما المحور الثالث فيركز على موضوع الحداثة ونقد الحداثة الغربية وضرورة الاعتراف بالحداثة الإسلامية. إضافة إلى ما سبق تضمن الكتاب خمس من الحوارات المنتقاة بعناية للأستاذ شبار، كان فيها هو المستجوَب، تصب في نفس موضوع الحوارات السابقة، حيث تم خلالها التعريف بمسيرته الأكاديمية والعلمية، وبآرائه حول الفكر الإسلامي المعاصر، واهتماماته البحثية خاصة قضية المصطلحات والمفاهيم، وقضايا الاجتهاد والتجديد من أجل تحقيق الكسب الذاتي من الوحي لكل جيل من الأجيال.

ليكون هذا الكتاب بلغته الهادئة وأسلوبه الرصين وبنائه المنظم مناسبة للاحتفاء بالمشاريع الفكرية الأصيلة لرموز الفكر العربي الإسلامي المعاصر، جامعا بين العمق الفكري والبساطة في العرض من أجل نقل تجارب المؤلف باعتبارها دروسا للطلبة والباحثين.

المراجع:

- سعيد شبار، حوارات من أجل الذكرى والذاكرة حول قضايا في الفكر العربي والإسلامي والغربي مع: د. عبد الوهاب المسيري، د. محمد عابد الجابري، د. محمد أركون، د طه عبد الرحمان، مركز دراسات المعرفة والحضارة، سلسلة دراسات وأبحاث فكرية، العدد 4، في طبعته الأولى، بالمغرب (فاس)، سنة 1438هـ/ 2017م.
- رغدة محمد المصري، أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المشروع المعرفي لعبد الوهاب المسيري (الصهيونية نموذجاً). ونقلا عن مقدمة موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية –https://www.noor book.com
- قاسم إبراهيمي بور، المنهجية الفكريّة لمحمّد عابد الجابري، من كتاب: مجموعة من المؤلفين، محمد عابد الجابري، دراسة النظريات ونقدها، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط 1، 2021م. https://www.iicss.iq/?id=3184
- https://www.khotwacenter.com
- هبة الله علي السيد أحمد، النبوة في الفكر الحداثي محمد أركون أنموذج: دراسة تحليلية نقدية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، جامعة الأزهر، مجلة قطاع أصول الدين، العدد الثامن عشر، ديسمبر 2022م.
- أحمد الفراك، طه عبد الرحمان سيرة مختصرة، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان–المغرب، جامعة سعيدة متون، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.

مركز دراسات المعرفة والحضارة
Center of Knowledge and Civilization Studies

maarifa-center.com

maarifa2011@ gmail.com

facebook.com/almaarifa.centre

All rights reserved © 2025

جميع الحقوق محفوظة © 2025

لجنة الإعلام والتواصل